

## هذا الكتاب

## رواية الغرفة 357: البطل يعاني من أزمة منتصف العمر

وجدي الأهدل

يعمل علينا الروائي الإماراتي العزيز الإنتاج "علي أبو الريش" برواية كاشفة لأغوار النفس البشرية، عنوانها ب "الغرفة 357" (1) وهو عنوان يحق لنا أن نتحفظ عليه لصعوبة التصاقه بالذاكرة، وكان يمكن استبداله بعنوانين آخرين تحمل نفس المعنى ويتعدنا عن مائة الأرقام، وهذا يذكرني برواية أخرى بدعية ولكن عنوانها فاتر، هي روية "1984" للروائي البريطاني جورج أورويل (2).

وبعد تجاوز عنوان الرواية غير المشجع، سوف نقع على الفور في شباك الروائي من السطور الأولى، فهو يدخلنا إلى غرفة في فندق فخم، ويجعلنا نرى مضاجعة غير متكافئة بين جسدتين، طرفها الأول بطل الرواية "مطر بن حارب" المكنى بابي أحمد، وهو شيخ خمسيني ترك قريته في رأس الخيمة وجاء إلى دبي ليرتوي من رشف الملتذات، والطرف الثاني امرأة من شرق آسيا تمتحن الدعارة ولها جسد غرض في ميعاة الصبا، ولكن هذا الشيخ الهرم المتباهي بفحولته يصاب فجأة بالعمة أمام الجسد الطري الشهي، فيضطر إلى استخدام الحجة الرذالة "الفياجرا" لإعناش قواه وإتمام العملية الجنسية، وبذا يضع الروائي اللبنة الأولى في تفكك شخصية "مطر بن حارب" واختلال سويته النفسية.

عاش "مطر بن حارب" حياته كلها في قريته برأس الخيمة متمسكاً بالمعادات والتقاليد، ورافضاً لحياة المدن الكبيرة وصخبها، وملتزمًا بالأخلاق الحميدة، ومحققاً لأقرانه الذين يمارسون الرذيلة، ولكنه فجأة يمر بأزمة منتصف العمر، ويشعر برغبة ملحة لهجر فراش الزوجية الباردة الذي ملأ نفسه ساماً، والبحث عن صبايا جميلات يشبعن شهواته، فيرحل إلى دبي، وينزل في فندق البستان، ويلتقط أول امرأة يصادفها في طريقه:

"جلس الرجل متأملاً جسده الأشبه بلوح خشبي لعبت به السنون، نفث وزاره لونه حول خصره، ثم ارتدى الفانيلة، واستلقى بجانب المرأة التي كانت تحمق في وجهه في انتظار الخمسة مئة درهم، وهو يقرأ وجهها الطفولي لمس انحساراً مريعاً في عينيها، وانسحاباً باتجاه المجهول، قال لها في لهجة قاسية: انهضي أيها الفاجرة. لم تفهم المرأة لغة الرجل، لكنها فهمت مغزى عبوسه، فتمتمت ضحرة، غنخت حاجبها وهي تهم بارتداء ملابسها قائلة: "حبيبي فلوس... أريد فلوسا... فتح أبو أحمد عينيه محملاً في وجه المرأة: قلنا في لهجة بريئة: الله يلعن سلامة الليبية، ويلعنك أيها الفاجرة. لم تلق المرأة بالاً لما يقول، بل حبلقت في يده وهي تدخل في المحفظة، فارتفعت قلبها وهي تنظر إلى الرزم المتلاحقة من الدراهم، قالت في لهجة مكسورة: "حبيبي عشرين درهم علشان تاكسي". قال على مضض: خذي يا مجرمة، هندي الخمسة مئة وهذه العشرين. نهضت المرأة وترضت جسداً رقيقاً وكأنها شرقة فطسة بعد عنان مع رمل الحياة، نظر الرجل إلى المرأة قبل أن يغيبها باب الغرفة، أشعل سيجارة تاحية النافذة العظيمة على حوض السباحة المزدهج بمجسما الرجال والنساء" (3).

وكما نلاحظ من النص المقطع، فإن بطل الرواية متعشش للجنس، ولكنه في نفس الوقت يشتمز من هذا اللقاء الجنسي المبتذل الذي يسيطر عليه الكلام حول المال، وهو الذي كان يُعنى النفس بلذة تحفق لها روحه، وترقص من حلاتها كل خلية عصبية في جسده، كتكتشف "مطر بن حارب" بعد تعثره في أول مضاجعة محرمة يقوم بها خارج الإطار الروائي أنه لا يبحث عن الجنس فحسب، بل وعن الحب، ثم كلما ألغى هذا الكهل في التأمل والعوض في عالمه الباطني كلما أدرك أنه يبحث عن امرأة كاملة تمنحه الجنس والحب وعاطفة الأمومة، وهكذا مطلب كان بطبيعة الحال من المستحيل أن يعثر عليه بين أحضان بانعات الهوى، فإذا به يتردى بصورة عمق في أزمة منتصف العمر التي يمر بها، وتظهر على تصرفاته أكثر فأكثر ملامح الشخصية وانحدارها إلى حضيض الجنون، فيتحرق غرغته "جوزيف" الذي يبدو أنه من تجار الرقيق الأبيض ويدعو لعزوة غداء، وفي المطعم يتعرف على "مادلين" الشابة اللبنيانية ذات الجمال الفائق، يقع في حبها من أول نظرة، ويهاهي وينها وبين أمه التي فقدتها وهو في سن العاشرة، ينكر "مطر بن حارب" في هذه الفتاة الجميلة تحت جناحه، ولكنه يعلم أن "جوزيف" لن يتركها له دون مقابل، وفيما هو منشغل بتبديل وسيلة للخلاص من جوزيف، تأتي الشقراء "مادلين" إلى غرغته في الفندق لوحدها، ولكن عاملة نظافة سريلاكية تكذب عليها وتخبئها أن نزول الغرفة 357 قد غادر الفندق، وبعدها يأبم تخفتي تماماً "مادلين" ويصاب "جوزيف" بانهاجر عصبي وكأنه خسر أسهمه في البورصة، وأما بطلنا "مطر بن حارب" فإنه منذ هذه اللحظة فصاعداً.. فقدان مادلين.. يفقد صفات بالواقع تدريجياً؛ يخرج إلى شاطئ الجميرا ويحفر لنفسه حفرة يمكن فيها أياماً، ثم يمضي باتجاه الصحراء باحثاً عن قبر أمه ويؤوه فيها زماناً غير معروف، ثم يصل إلى قرية ساحلية.. ربما كانت مسقط رأسه.. ويسلم الروح بعد معاناة طويلة من التشنج وغياب العقل.

## اللغة الشعرية وأعشابها الصارة:

يطغى على الرواية التي بين أيدينا النفس الشعري، وفي جمل متفرقة تم استخدام السجع، ربما امتدح النقاد كثيراً استخدام اللغة الشعرية في كتابة الرواية، ومنهم من قام بتوزيع الأوسمة وعلقها على صدور الروايات والروايات الذين أغرقوا في شعرة سردياتهم، فإذا هي تأتي مرتهلة، تقول المعنى وتكرره، وتنتج الضمخ حتى تحرقه، وفي رواية "غرفة 357" نجد انجراراً قاهراً لتعليم النص بالصور الشعرية، والجميل المضافة كحلية لفظية المقصود منها جعل النص أكثر توجهاً وبريقاً، ولكن هذه الشجور اللفظية التي فقدت أنها تشغل مساحة 30% من جسد الرواية لربما كان من المستحسن حذفها، بحيث تبدو أكثر رشاقة وسلاسة، وبما يُمكن القارئ من رشف عذوبة الرواية دون تلك الزوائد. من المهم أيضاً الإشارة إلى أن هذه الجمال الطويلة التي بذل الروائي جهداً كبيراً في ترصيعها بالصور الشعرية تشكل إغافة لتدفق السرد، وتوجب القارئ على أخذ وقتاً استراحة.. أي أنه لا يستطيع قراءتها في جلسة واحدة، وهذه "الوقفات" هي أخطر داء يمكن أن تعاني منه أية رواية بغض النظر عن حجمها أو مكانة كاتبها.. وطبعاً لا يغرب عن البال أن هناك من القراء الكسالى من يستصرف عن إكمال قراءة الرواية ويضعها جانباً، ويلعبه الأطفال لأبد أن نتعترف أن هذه هي إحدى مضاغفات الإغراق في استخدام تقنية اللغة الشعرية في كتابة النص الروائي.

## عقدة أوديب ومسارها الخفية:

يمكن القول أن موضوع رواية "غرفة 357" يمكن احتزاله في العقدة الأوديبية المعروفة -الحب المحرم لأم.. وقد تمكن الروائي الإماراتي علي أبو الريش من معالجة هذا الموضوع بمهارة وجرأة غير متوقعة.. وأظهر الكثير من الخبرة والدرابة في الصنعة الروائية من خلال خلقه لشخصية "مطر بن حارب" والإسماك بنقطة البداية الصحيحة في فتح جرحه النفسي، ثم التطوير المتدرج لعالمه النفسي الجديد وتوسيعه بكلام الشخصية مع نفسها وهذياناتها، ومراقبة هذه الرحلة المولمة التي يقوم بها "مطر بن حارب" للوصول إلى حقيقته الباطنية. وما هو جدير بالملاحظة أن هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر التي تجري في ذهن رجل، قام الروائي برصدها ببصيرة مدهشة والتقط تفاصيلها الخفية بصدق فني يثير الإعجاب:

"عندما كنت في التاسعة وقبل أن تغيب أمي كنت أس رأسي الصغير في صدرها، فنلمزني ناهرة بلهجة ودودة: فك عن هذا يا ولدي، لقد كبرت، بينما أنا كنت أسكر في الرابحة حتى الشامة، وأغوض أكثر وهي تكتزني، وتهر منكمي بحفاوة أم وروء، كنت أشعر أن كأننا ما يستقر في هذا الصدر، ويستقرني لأرغف أنفي، وفي المكان الذي ما عاد مكاني كما كانت تقول أمي، ولكنني أشعر بالغبين عندما تشد لهجتها فظافة، فتتركني على وجل، خضية أن يشهد أبي هذا المنظر، الذي كان يذاعني ملكية هذا الصدر ومن دون أن أعلم" (4).

والمقطع طويل ولين يسمح الحيز هنا بإيرادها كاملاً.. والشاهد أن الروائي قد تمكن ببراعة من معالجة هذا الموضوع الشائك، والشخصية التي وقعت فريسة للعقدة الأوديبية انهارت قواها الحيوية بسرعة، وراحت تعدو في سباق مع الزمن للظفر بالجنون ثم الموت.

## البعد الأسطوري في تحل جسد بطل الرواية:

في الثلث الأخير من الرواية يصعد الروائي علي أبو الريش درجة أعلى في فنه الروائي عندما ينقل شخصية "مطر بن حارب" من البعد الواقعي البسيط والمباشر إلى البعد الأسطوري الغني بالمجاز والدلالات الرمزية، وقد نلجم بين السطور بدون أن يصرح الروائي بذلك جهاراً.. إسقاطات على المجتمع الخليجي الحديث.. وما يؤيد هذه الفرضية أن بطل الرواية "مطر بن حارب" قد أبان في تأملاته للمعدن الجديدة عن سخطه من طغيان أبراج الإسمنت، ولولة الإسفلت، وحذف مختلف اجناس البشر على شواطئ بلاده دون أن يعرفوا شيئاً عن ماضيها وتضحيات الأسلاف الذين عاشوا على ترابها أيام الفقر والحرمان، كما أن خاتمة الرواية ترسخ أكثر فكرتنا عن الإسقاط الضمني لشخصية "مطر بن حارب" على المجتمعات المعاصرة في مدن الإمارات الغنية:

"المطر يمزج الأرض برحيق الحياة.. انفجرت أساريه، ضحك بجلجلة فرحاً، هر رأسه، ثم سكن سكوهه الأبدى وهو يحتوي وجهه أمه في الفراغ الممتد، وحوله تحوم الحمامة وفرأخها، غاب الرجل.. وهو يعصر صدره محتوي الحب الأزلي، ويعض على شفثيه بلذة الممتشي لراحة الأبد.. المطر ومطر بغيبان في التراب.. يفعوض بحلم الإبنات والإزهار.. المطر والحجر جليان الصدر الأبدى ويقعان في السردم.. يغيب الرجل وفي قلبه تعقيب أمه.. يغيب مطر تحت المطر في سحابة الوجه الذي ظل قريباً.. وقربياً يسكن الممدى ويحتوي الحياة الأبدية" (5)

ومن هذا المقطع نستنتج أن الأم هي رمز للطبيعة والأرض، وأن الابن "مطر بن حارب" هو رمز للإنسان المعدن بتأثره عن الطبيعة وانفصاله عن الصحراء مصدر القيم والفضيلة، وأن مصيره المحتوم هو العودة إلى الصحراء والذوبان في رمالها كما يذوب فيها المطر الهائل من السماء، وفي خضم هذه التجاريد الكونية ستمتدح ذرات الابن بذرات الأم، ومن ثم يتمكن الإنسان العائش على ضفاف الخليج من العودة إلى جذوره.

يلفت انتباهنا الروائي الإماراتي علي أبو الريش إلى الخطر المحقق بصورة مجازية، محذراً من أن أزمة منتصف العمر لا تضرب بذلها السعوم الأفراد فقط، وإنما يمكن أن تتالط حتى المجتمعات أيضاً.

الهوامش:

(1) الغرفة 357: علي أبو الريش، رواية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009.

(2) من الأمور اللافتة للنظر استشره ظاهرة العنونة بأرقام غرف الفنادق، ولعل آخر ما وقعت عليه عيناها في هذا الصدد هو فيلم سينمائي للمخرجة الدانمركية بريجتا ستيرموس وعنوانه "غرفة 304".

(3) الغرفة 357: ص 46.

(4) المصدر السابق: ص 209.

(5) المصدر السابق: ص 304.

## قرأت لكم

## جولة كنتاكي.. ونهاية ثورة العواطف!

سامي الشاطبي

## عودة تاريخية

على طريق التاريخ للوقائع والأحداث اليمينية المعاشية وتأكيد استفادة الرواية منها، بما يؤد إلى ارتباطها أكثر بالمجتمع بدأت الرواية اليمينية تخطو فعلاً.. فبعد توقف الرواية اليمينية عن الاستزادة من معين القضايا التاريخية في رواية (الرهينة) لزيد مطيع دماج وفي رواية (طوفان الغضب) لمنير طلال يعود التاريخ الحديث إلى واجهه الرواية اليمينية.

## قضايا في شارع:

وبناءً على ما سبق صدرت مؤخراً رواية جديدة للروائي النشط عبد الله عباس الارياني تحت عنوان (جولة كنتاكي).. القطع المتوسط حملت كل قضايا الوطن في بقعة صغيرة جدا لا تتعدى شارع!

## تجمعات

في البدء تضعنا الرواية أمام العديد من الأسئلة المحيرة.. لماذا يتجمع الناس في مكان ما.. وما السبب؟.. كان مبرر من تجمع هو التغيير.. الثورة على الظلم والفساد ومنظومات القيم الاجتماعية البالية.. ولكن هذا المبرر الذي انهار بعد انضمام الكثير من الطامعين في التكسب من التغيير والهاربين والقوى فتتحق تقابها هائلا لنمو العلاقات الاجتماعية في الساحة.. هذه العلاقات التي شكلت جداراً منع الشباب الحقيقي غير المتحزب من ترك الساحة بعدما شهدته من انضمام الكثير من المدعين والفاستين والمخربين!

## من ذاكرة المكتبة

## تهذيب الكمال في أسماء الرجال

أعظم كتاب ألف في موضوعه على الإطلاق.. بدأ المرزي بتبويضه يوم 9 / محرم / 705هـ وفرغ منه يوم عيد الأضحى / 712هـ. قال الصلاح الصفدي: (وصنّف كتاب (تهذيب الكمال) في أربعة عشر مجلداً، كسف به الكتب المتقدمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان). وقال التاج السبكي: (وصنف (تهذيب الكمال) المجمع على أنه لم يصنف مثله) وقد كان كما يقول الحافظ مغلطاي (حكما بين طائفتي المحدثين والفقهاء، وإذا اختلفوا قالوا: بيننا وبينكم كتاب المرزي). والمراد بإصلاح الخلل وإتمام النقص، الواقعين في كتاب (الكمال) للحافظ عبد الغني المقدسي (ت600هـ) وليس المراد أنه

(6) شباب هم حلمي وفتحي ونوري ونظمي وفهمي ومرمزي و(3) شبابت هن سوسن الشابة الثرية وسلوى الفنانة التشكيلية وأمل تجمعاوا في ساحة الجامعة (التغيير) تحت مبررات وظروف مختلفة... اختلفت ميولاتهم واتجاهاتهم الفكرية ومستواهم الاقتصادي، لكن قضيتهم كانت واحدة

وواضحة ..يتعرفون على بعض كأ نهم يلتقون في وطن جديد اسمه ساحة التغيير ..أنا حلمي طالب في كلية الحاسب و سنة ثالثة جئت إلى هنا للمطالبة بدولة النظام والقانون..ص7.."

أنا مرزمي أدرس الطب في جامعة من جامعات الجنوب لا يهيم اسمها..تركت كليتي وصعدت إلى هنا.. ما يطالب به حلمي مطلبنا ص7" وهكذا لكل شاب وضعه المختلف عن الآخر لكن ما يجمعه بالأخر هو هذه الساحة والهدف. سوسن طالبة جامعية وسلوى فنانة تشكيلية و(أمل) ليست شيئاً محدد بل مجرد رمز للمرأة.. يؤكد مؤلف الرواية من خلال شخصية أمل بان للمرأة الدور الأكبر في حشد الناس، ولكنه يرى ذلك غير المتحزب من ترك الساحة بعدما شهدته من انضمام الكثير من المدعين والفاستين والمخربين!

لم تدرك أن القرص سيوجع حلمي.. ص2...تغصن النقاب عند شفثيتها فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وعينه على عينها لكزه فهمي ثم قال هامساً: ما أجملها من سافرة ص3" أبناء الأثرياء والذي جسدهم الارياني في روايته بسوسن يلتحقون أيضا "سوسن في كلية الآداب قسم لغة عربية والدها موظف كبير عمره الوظيفي ثلاثون عاما ولدت وعلى فهمها ملعقة من ذهب لم يستطع والدها من الذهاب إلى الساحة ص16"

## علاقات حب:

وتبدأ علاقات الحب بالنمو بين سوسن وحلمي.. منح عين سو سن لحلمي عينا ثلاثة أنجز وأ بدع في ليلة واحدة كمال يفعل من قبل.. العين الثالثة عين سوسن مرت عليه عيون لا حصر لها من المنقبات في الوطن كله ولم يقع إلا في عينيها..ص26" هل كان نمو هذه العلاقات العاطفية المتشابكة بين شباب الساحة هو من دفعهم للبقاء رقم توغل الفاسدين مجرد رمز للمرأة.. يؤكد مؤلف الرواية من خلال شخصية أمل بان للمرأة الدور الأكبر في حشد الناس، ولكنه يرى ذلك غير المتحزب من ترك الساحة بعدما شهدته من انضمام الكثير من المدعين والفاستين والمخربين!

قبل..العين الثالثة عين سوسن مرت عليه عيون لا حصر لها من المنقبات في الوطن كله ولم يقع إلا في عينيها..ص26" هل كان نمو هذه العلاقات العاطفية المتشابكة بين شباب الساحة هو من دفعهم للبقاء رقم توغل الفاسدين مجرد رمز للمرأة.. يؤكد مؤلف الرواية من خلال شخصية أمل بان للمرأة الدور الأكبر في حشد الناس، ولكنه يرى ذلك غير المتحزب من ترك الساحة بعدما شهدته من انضمام الكثير من المدعين والفاستين والمخربين!

## نهاية ثورة العواطف

كيف انتهى هذا الحشد الشبابي الذي حلم بالتغيير الحقيقي..النهاية مفاجئة وصادمة..سقطوا قتلى وصراع في مشاهد سردية مؤثرة..ليستولي على الثورة كل ظلام للعبيد"لم تكمل سوسن..اخترق جسدها رصاص منكل الاتجاهات...مسقطت من على الجسر الرواية..وقعت في المكان الذي سقط فيه حبيبها ص27"

حجر العسقلاني، اختصر فيه (تهذيب الكمال) إلى نحو الثلث، فأسقط منه جميع الأحاديث التي خَرَجها المرزي من مروياته العالية، إلا أنه لم يحذف من تراجم كتاب المرزي أحداً، بل زاد فيهم من هو على شرط المرزي، وخالفه في ترتيبه، فلم يلتزم حروف المعجم، معتمداً تقديم الأحفظ والأسند، وحذف من التراجم أغلب الأخبار التي لا تدل على توثيق أو تجريح، وأضاف عليه إضافات، ميزها بقوله: (قلت)، ومعظم زياداته واستدراكاته استصفاها من كتاب الحافظ مغلطاي: (إكمال تهذيب الكمال). ثم اختصر ابن حجر كتابه في كتاب سماه (تقريب التهذيب) وهو مطبوع في مجلدين، أما (تهذيب التهذيب) فطبع في ستة مجلدات.

مختصر لكتاب (الكمال). عواد معروف ص43) وقد طبع الكتاب بتحقيقه في (35) مجلداً عام (1983م).

بل هو كتاب يكاد يكون مستقلاً عن (الكمال) وإن كان يستند في أساسه عليه. وكان عبد الغني قد اقتصر في كتابه: (الكمال) في أسماء الرجال) على ترجمة رواة كتب الحديث والنسبة المشهورة، فجاء المرزي وأضاف ترجمة ما وقع في كل مؤلفاتهم الأخرى من أسماء الرواة (انظر تفصيل ذلك في مقدمة د. بشار



## بورصة الكتب:

## رواية "هيبتا" تتصدر عربياً و"الغريب" دولياً

احتلت رواية (هيبتا) للكاتب محمد صادق، المركز الأول في قائمة الكتب العربية الأكثر مبيعا في مكتبات الشروق كبرى دور النشر العربية، وتعد الرواية أحدث إصدارات دار الرواق للنشر والتوزيع، وجاءت في المركز الثاني رواية الفيل الأزرق للكاتب أحمد مراد، لدار الشروق للنشر والتوزيع، الرواية التي تم تحويلها لفيلم سينمائي من بطولة كريم عبد العزيز، وفي المركز الثالث 1919 لأحمد مراد أيضاً. وعلى الصعيد الدولي للأسبوع الثاني على التوالي تتصدر رواية "الغريب" لديانا جابالدون قائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعا سواء للنسخ الورقية أو الإلكترونية فيما جاءت رسائل "حب" لديني ماكومر ثانياً.



وحلت رواية يالها من أكاذيب" لبيان مورياتي في المركز الثالث وكان المركز الرابع لرواية "الإبادة السادسة" لجيمس رولينز. وجاء المركز الخامس والأخير بقائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعا في الأسبوع الأخير من نصيب رواية "تسوكورو تازاكي عديم اللون وسنوات حجه" لهاروكي موراكامي. وعلى مستوى الأعمال غير الأدبية للكتب الأكثر مبيعا للنسخ الورقية والإلكترونية كانت قائمة النيويورك تايمز للأسبوع الأخير كالتالي، واصل كتاب "بلا هوادة" للورا هيلينبراند احتلال المركز الأول للأسبوع السابع على التوالي وجاء المركز الثاني من نصيب "الأولاد في الزورق" لدانيل جيمس براون، وثالثا حل كتاب "مملكة الجليد" لهامبتون سايدس فيما جاء كتاب "أميركا" لدينش دسوزا رابعا وكان المركز الخامس والأخير من نصيب كتاب "البرتقالي هو الأسود الجديد" لبيير كيرمان.